

الوافي في الوفيات

علي بن محمد بن الفتح بن أبي العاصب الشاعر البغدادى الملاحى - نسبة إلى الملح -
مولى المتوكّل على ا . سمع وروى . وثّقه الخطيب . توفي سنة أربع وسبعين وثلاث مائة .
كتب إليه ابن سكرّة الهاشمي : .

يا صديقا أفادَينه زمانُ ... فيه ضيقُ بالأصدقاء وشُجُّ .
بين شخصي وبين شخصك بُعدٌ ... غيرَ أنَّ الخيالَ بالوصلِ سمحُ .
إنما أوجب التباعدَ منّا ... أنني سكرُّ وأزّك ملاحُ .
فكتب ابن أبي العصب الجواب : .
هل يقول الإخوان يوماً لخلِّ ... شابَ منهُ محضَ المودّةِ قدحُ .
بيننا سكرُّ فلا تُفسدَ نَهْمُ يقولون بيننا ويكّ ملحُ .
ابن فرحون المَدَنِي .

علي بن محمد بن فرحون نور الدين أبو الحسن اليَعمري المَدَنِي المالكي . قدم علينا
دمشق ورأيته مرّات سنة إحدى وأربعين وسبع مائة وأنشدني كثيرا من لفظه لنفسه . كتب
إليّ يطلب مني تمام شرح لامية العجم الذي وضعته وسميته غيث الأدب الذي انسجم : .

قد طال هذا الوعدُ يا سيِّدي ... فانظرُ لمقصودي وكن مسعدي .
أنتَ صلاحُ الدين حقا فكنُ ... صلاحَ دنيائِ التي تَعْتَدِي .
وجُدْ بغيثِ الأدبِ المُندتَقبواسقِ رعاك ا قلبا صدي .
بدأت بالإحسان فاختم به ... يا خاتم الخيري ويا مُبتدِي .
فكتبت الجواب إليه معذرا عن تجهيزه ؛ لأنه كان في العارِيّة : .
أقسمتُ لو كان الذي تبتغي ... عندي لم أمنعهُ من سيِّدي .
يا من له نظمُ علا ذرّوةً ... وهادُها تعلو على الفَرِّقدِ .
لقد تطوّلتَ ولم تَقْتصر ... ومن بدا في فضله يزدَدِ .
وأينَ من نال نهاياتِهم ممّن كما قلتَ له مبتدي .

وصنع هو للامية العجم أعجازا وصدورا أوقفني عليها بخطه وطلب مني أن أكتب عليها
تقريضا فكتبت عليها حسيما قصده : وقفتُ على هذا النمط الغريب والأسلوب الذي ما سلك
شعبه أديب والألفاظ التي تجيد الجيد وما تُريب أنها حلايُ التّريب والعبارة التي هي
أشهى من عصر شبابٍ ما شيب بمشيب والنظم الذي شاب منه الوليد ونقص أبو تمامٍ فليس بحبيب
والمعاني التي هي أوقع في النفوس من وصل حبيب نزهته اللذة عن الرقيب القريب والسطور

التي هي جداول الروض والهمزةُ على ألفها حمامةُ على قضيبٍ : .

وفي تَعَبٍ من يحسُدُ الشمسَ ضوءها ... ويزعمُ أن يأتي لها بضرب .

لقد أمتع ناظمها أمتعاً بمحاسنه وحلّى جيدَ الزمان بدُرِّه الذي يُثيره من معادنه فجعل لآفاقها مشارقَ ومغارب ولبيوتها في شعاب القلوب مراكز ومضارب كيف أفادها أعجازاً وصدوراً وكيف تنوّع في الحسن حتّى أفاد الخصور أردافاً وركّب على الأرداف خصوراً وكيف اقتدر على البلاغة فأطلع في أفلاكها شمساً وبدوراً فلو عاينها الطُّغرائي C جعلها لمنشور ديوانه طُغرى وعلم أن روض نظمه إن كان فيه زهرة فهذا أُنْفُقُ أطلع في كل منزلة منه شمساً وبدراً وزُهْرَةَ . فإِ يَعْزُّ حَمَى الأدب منه بفارس الجولة ويُدِيم لأيامه بفوائده خير دولة ويلُمُّ شَعَثَ بنيه الذين لا صون لهم ولا صولة ويمتّعهم بمحاسنه التي لا تُذكر معها أبياتٌ عَزَّة ولا أطلالٌ خَوْلَة بمَنْذَة وكرمه إن شاءَ اِ تعالى .

وقد أثبتُّ هذه الأعجاز والصدور بمجموعها في الجزء العشرين من كتاب التذكرة . وطلب مني المقامات الجَزَرية ليقف عليها فجهّزتها إليه فأعادها وقد كتب عليها بخطه يقول :
الفقيرُ إلى اِ تعالى عليّ بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون اليَعْمَري المدني عفا اِ عنه ؛ لما نظرت مقامات الجَزَري رأيت ألفاظها حوشيّة ودُلّال أسجاعها غير مطرّزة ولا موشيّة لم يَسُقِ روضها ماءُ البلاغة المستعذّب فما أنبت أرضها زهرَ اللفظ المهذّب ومع هذا فطالما كلّف نفسه فيها وعذّب وعندي أن من لم يستحسن كذبيها لم يُكذّب : .

ظنّ الفصاحة في الغريب فأثره ° ... فَلَكَم° له من فِقْرَة هي فاقِره ° .

قَرَحَت° قريحته وفاتَ قبولُها ... يا كَرَّة° من بعد ذلك خاسره ° .

وقد أثبتُّ منها عندي المقامة الأولى ورأيتُ أنّ ترك ما سواها أولى :